

(أثر مسلمي الاندلس على الفكر الأوربي في العصور الوسطى)

اعداد : الهادي عبدالمجيد الهادي إبراهيم

الملخص:

هدف هذا البحث للتعرف على تحليل الأثر الثقافي الإسلامي في الاندلس على مجالات المعرفة في أوروبا واستكشاف الفكر الفلسفي بتقييم دور الفلاسفة المسلمين في الاندلس؟ وكيف ساهمت أفكارهم في تشكيل الفكر الفلسفي الغربي، واشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الكتانية البديعة الغالية، التي لا يفرق بينها وبين الكاغد (الورق) الجيد الصقيل في الرقة والبياض، وتعد الأندلس من أهم البلاد التي ازدهرت فيها صناعة الحرير بأنواعه المختلفة، واشتهر الفولاذ الأندلسي بجودته في انحاء العالم، ومن أهم مراكز صناعته طليطلة وغرناطة، وأشبيلية حيث كانت تصنع السيوف والدروع، والآلات الحربية، (45)، وقد توصل مسلمو الأندلس الى اكتشاف خاصية النفط كونها مادة مهمة متفجرة، إذا خلطت بملح البارود وحصى الحديد في درجة عالية، وأدى هذا الاكتشاف الى ظهور المدافع والاسلحة النارية التي اخذها الاوربيون عن العرب.

المقدمة:

تعتبر الأندلس واحدة من أبرز الفترات التاريخية التي شهدت امتزاج الثقافات بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية، فقد أسهمت الأندلس الإسلامية في تشكيل الفكر الغربي من خلال إسهاماتها في مجالات متعددة، مثل العلوم، والفلسفة، والأدب، والفن.

وتُعد الأندلس مثالاً حيّاً على التفاعل الثقافي بين الحضارات المختلفة، حيث تركت الثقافة الإسلامية التي ازدهرت في هذه المنطقة أثراً عميقاً على الفكر الغربي في عدة مجالات في الأندلس، حيث كانت مركزاً حضارياً عظيماً في العصور الوسطى، تركت أثراً عميقاً على الفكر الغربي في مجالات متعددة.

مشكلة البحث:

تعد معرفة الابعاد الثقافية الإسلامية في الاندلس التي تم نقلها الى الفكر الغربي، وكيف أثرت هذه الابعاد على جميع المجالات العلمية والثقافية في أوروبا في العصور الوسطى، وتوضيح ان هذا الأثر الثقافي للأندلس لا يزال موجودا في الفكر الغربي الحديث.

تساؤلات الدراسة:

- 1- ما هي العناصر الثقافية والعلمية التي تم نقلها من الاندلس الإسلامية الى أوروبا وكيف تم استقبالها؟
- 2- كيف ساهمت الفلسفة الإسلامية التي نشأت في الاندلس في تشكيل الفكر الفلسفي الغربي؟
- 3- ما هي الأدوار التي لعبتها الجامعات والمراكز العلمية والدينية في نقل الفكر في الاندلس في نقل الثقافة الإسلامية الى أوروبا؟

ويهدف هذا البحث إلى استكشاف الآثار التي تركتها الأندلس الإسلامية على الفكر الغربي وكيف ساهمت في تطويره ومن الجوانب الرئيسية لهذا الأثر.

أهداف الدراسة:

- 1- تحليل الأثر الثقافي الإسلامي في الأندلس على مجالات المعرفة في أوروبا ؟
- 2- استكشاف الفكر الفلسفي بتقييم دور الفلاسفة المسلمين في الأندلس؟ وكيف ساهمت أفكارهم في تشكيل الفكر الفلسفي الغربي؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في انها تعزز الفهم الثقافي العميق للتاريخ الأوربي والإسلامي، واطهار كيف يمكن للحضارة الإسلامية ان تتفاعل وتؤثر على الغرب الأوربي، ومعرفة كيف استفاد العديد من المفكرين الأوربيين من التراث الفكري الإسلامي.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي

حدود الدراسة:

الجانب المكاني: ستركز الدراسة على فترة الحكم في الأندلس.

الجانب الزمني: تبدأ الدراسة من بداية الفتح الإسلامي للأندلس وحتى نهاية سقوط غرناطة (92-897هـ -711م -1492م)

تقسيمات الدراسة:

قسمت الدراسة الى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: لمحة سياسية تاريخية.

المبحث الثاني: دور الجامعات والمعاهد الدينية في نشر الثقافة الإسلامية في أوروبا.

المبحث الثالث: التأثير الإسلامي في ميادين الحياة الاقتصادية.

المبحث الأول:

السياق الثقافي الإسلامي في الأندلس:

انتشار الثقافة الإسلامية: (لمحة سياسية ثقافية):

وصل المسلمون الى الأندلس سنة 92هـ/710م، وفي سنة 96هـ/714م استطاعوا السيطرة على المدن الرئيسية فيها فأصبحت إقليما تابعا للدولة العربية الإسلامية يديرها والي أفريقية (تونس)، وسادها السلام مدة طويلة (1).

وفي عام 138هـ/755م عبر الأمير عبد الرحمن الداخل، الى الأندلس هاربا من بني العباس فابتدأ عهد الدولة الأندلسية المستقلة، وبدأ عهد قرطبة عاصمة لها(2)، اذ وصلت الى أوج ازدهارها في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث (300-350هـ/912م-961م) الذي مد نفوذه الى كل شبه الجزيرة الايبيرية، واستمر الازدهار في عهد ابنه وحفيده إلا ان الأخير سمح بانتقال السلطة الى يد الحاجب المنصور، وبعد وفاة ابن المنصور عام 399هـ/1008م لم يتول الحكم رجل قادر على الاحتفاظ بوحدة الأندلس؛ لذا تفككت الدولة الأموية وبدأت مرحلة دويلات الطوائف(3)، ومع ذلك فان الازدهار الفني والأدبي كان مستمرا رغم مشاكل السياسة وتنافس الحكام.

إن الازدهار الثقافي العربي السريع في الأندلس قد ساعدت عليه عوامل عدة، منها: الاستقلال السياسي المبكر الذي نالته الأندلس بعد أربعين سنة من الفتح العربي فكانت اسبق من أقطار الدول الإسلامية في الإحساس بشعور قومي نتيجة لذلك الاستقلال السياسي، وقد أتيح للأندلس أمراء كانوا من عباقرة السياسة وتدبير الملك تعاقبوا على الحكم طوال ثلاثة قرون، وهي مدة طويلة لم يتح لها مثيل من الاستقرار والدوام لأي قطر إسلامي، فاذا أضفنا الى ذلك تنوع العناصر الاجتماعية التي تألف منها الشعب الأندلسي أمكننا ان نلمح طرفاً من أسباب النضج السريع الذي قدر للشعب الأندلسي، فضلاً عن ان بعد الأندلس عن مراكز الثقافة العربية في الشرق أرهف فيهم الحساسية الثقافية والفكرية فجعلهم أكثر تطلعا للأخذ بأسباب الثقافة كل هذه العوامل تفسر كيف بلغ الشعب الأندلسي درجة من الرقي والنضج السريع وكيف كان للثقافة الأندلسية في الإطار العام للحضارة كثيراً من مظاهر الأصالة والتميز(4).

ومن جانب آخر فان موقع الأندلس وانفصالها عن العالم الإسلامي معظم عصر الأمويين وملوك الطوائف واتصالها بالشعوب المسيحية جعل مجال النقل الحضاري بينهما واسعاً بيد ان التبادل الحضاري والثقافي لا يخضع بالضرورة للموقف السياسي أو العسكري، فقد كان للأندلس الإسلامية حتى في عصور ضعفها واضمحلالها نفوذ هائل على اسبانيا المسيحية ولم يمنع تغير ميزان القوى لصالح الممالك النصرانية في اسبانيا والبرتغال استمرارها من الاستفادة من ثقافة المسلمين الأندلسيين والاضطلاع بدور حمل عناصرها ونقلها الى مختلف بلاد أوروبا(5)، فالإسبان الذين استولوا بالتدريج على النصف الشمالي من الأندلس عندما اخلد العرب الى ارض الترف والبذخ وانحسروا في النصف الجنوبي لم يبقوا جامدين لا شعور لهم بثقافة جيرانهم التي اخذوا يقتبسونها، وكان السياح والمسافرون من النصارى الذين يزورون مدن العرب يعودون الى أوطانهم فيقصون من أخبار العرب وعلومهم وحضارتهم الجميلة ما يهز النفوس ويشوقها.

كانت الأندلس تثير بحضارتها وعلومها وفنونها اهتمام الأمم الأوربية، وكانت جامعاتها المزدهرة مقصد طلاب العلم من كل مكان، وكانت مدارس الترجمة الأندلسية وبخاصة مدرسة طليطلة تقوم بعملها المنظم في نقل ثمار العلوم الإسلامية الى اللغة اللاتينية، التي كانت لغة العلم في سائر أنحاء أوروبا، والتي ظلت لغة التخاطب عند الأغلبية الساحقة من أهالي اسبانيا وان كانت العربية هي لغة العلم وإدارة، وبدأت منذ ذلك الحين مساهمة الحضارة العربية في تكوين حضارة أوروبا وقد امتدت هذه المساهمة نحو ثلاثة قرون وكان لها أثرها الواضح العميق(6).

أثر الأندلس الإسلامي في الفكر الغربي:

من العوامل التي دفعت الى حركة الامتزاج بين الحضارة الإسلامية واسبانيا هو وجود عدد كبير من المسلمين الذين بقوا تحت ضل الحكم الاسباني بانتقال مدنها الى هؤلاء فعندما كانت احدى هذه المناطق تقع في ايدي الاسبان لم يكن ذلك يعني توقف وجود المسلمين فيها بل العكس كانت كثير منهم يبقون في هذه المناطق محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم ومن بين هؤلاء أصحاب الحرف والمثقفين الذين لعبوا دوراً بارزاً في نقل العلوم

والفلسفة الإسلامية الى الاسبان في الشمال وكان ملوك هذه الممالك وامراءها يضطرون الى الاحتفاظ بهؤلاء المسلمين بسبب اهميتهم الاقتصادية للبلاد واطلق عليهم لقب المدجنين وقد أدى وجود هؤلاء الى خلق بنية اقتصادية وحضارة مادية علمية مشتركة بينهم وبين الاسبان (7) .

وبقيت بعض المدن التي شكلوا فيها اغلبيّة بالضرورة الإسلامية او عربية في ثقافتها ,مثل مدينة طليطلة التي استعادها الاسبان 1085م وكان لهذه المدينة دور مهم في التاريخ الفكري لأوروبا(8)

كما لعب التجار دوراً ملحوظاً في النقل الحضاري بين الجانبين وكانت التجارة تتم في الغالب في أوقات السلم الامر الذي ساعد في انتقال المؤثرات الحضارية بواسطة التجار الذين لعبوا دور الوسيط بين الحضارتين ,كما كان التجاء بعض ملوك الاسبان الى الاندلس امراً مألوفاً لطلب معونة المسلمين في استعادة عروشهم وقد ساعدت هذه الزيارات المتكررة للإسبان على تبني الحضارة الراقية لمضيفيهم وضيوفهم في العمل ويتبين بعد هذا العرض ,كيف انتشرت الحضارة العربية الإسلامية في عموم شبه الجزيرة الايبيرية الذي غدت مرتعاً خصباً لمختلف المعارف والعلوم الإنسانية التي جلبها العرب من المشرق وطورها بمرور الزمن ,فأصبحت في متناول المهتمين من الأوروبيين نتيجة انتشارها سواء في حواضر الاندلس وقواعد العربية الشهيرة مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة وسرقسطة وطليطلة وغيرها.

كيف أصبحت هذه الثقافة وتلك العلوم في متناول الأوروبيين؟ وما هي الطرق والمراحل التي تم بموجبها انتقال التأثير العربي الى أوروبا عن طريق الاندلس؟ ويرى الباحثين هناك ثلاث مراحل لهذا التأثير (9)، وهي:

1. عصر التأثير غير المباشر (ويمتد من فتح الاندلس الى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي).
2. عصر الترجمة من العربية اللاتينية (ويمتد من منتصف القرن الحادي عشر الى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي).
3. عصر الاستعراب، وهو قمة التأثير العربي وواجهه (ويمتد من منتصف القرن الثالث عشر الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي).

فلقد انتقلت بعض الترجمات اللاتينية لأصول عربية مبكرة عن طريق بعض الافراد او الطلاب العائدين من الاندلس، مثال ذلك نسخة لاتينية في حكم بقراط كانت تستخدم في التدريس بمدينة شارتر بفرنسا سنة 382هـ/991م، ولا شك انها كانت اصل عربي لان الغرب اللاتيني كان يجهل في هذا الوقت المبكر جهلاً تاماً.

وعلى اية حال فإن التأثيرات ابتدأت بالانتقال في بداية الامر نتيجة للجهود الفردية من طالبي العلم من جميع انحاء غرب أوروبا ,الذين كانت تدفعهم الرغبة الملحة للتعرف على علوم الاندلس وأعاجيبها لا سيما الرهبان منهم الذين رغبوا في ان يكتشفوا بأنفسهم عظمة المسلمين في الاندلس ولعل ابرز مثال على هؤلاء الراهب الفرنسي جريبر دي اورياك الذي زار الاندلس مدة ثلاث سنوات من (976م/970م) أي في عصر الخليفة الحكم المنتصر (960م/976م) الذي وصلت فيه الاندلس ذروة تقدمها في مجال العلم والثقافة فدرس جريبر العلوم في برشلونة على كتب مترجمين ترجمت من العربية ثم رحلت الى قرطبة حيث برع في تلقي علوم الطبيعة والفلك والرياضيات من علماء المسلمين وتعلم العربية ,كما الف كتاب شرح فيه استخدام الأرقام العربية الذي تعلمها في الاندلس (10) .

النشاط الثقافي بين أوروبا والاندلس:

من العوامل التي ساعدت على الامتزاج الثقافي والحضاري في الاندلس والزواج المختلط الذي كان شائعاً بين المسلمين والنصارى سواء داخل الاندلس ام مع الامارات الاسبانية في الشمال، وتدل المصاهرات التي تمت

بين الاسر الحاكمة وكذلك ضمن طبقات المجتمع الأخرى على مدى العلاقات المتشابكة التي قامت بين سكان الاندلس من المسلمين والنصارى وجيرانهم الاسبان في الشمال , الامر الذي كان له اثر بارز في احتكاك الشعبين واختلاطهما(11) .

لم تقتصر زيارات الأوروبيين على هذه الجهود الفردية بل قامت حكومات بعض الدول الأوروبية بأرسال بعثات ذات طابع رسمي الى الاندلس الإسلامية لتلقي العلوم والفنون والصناعات في مدنها الكبرى وذلك نتيجة الدعايات التي انتشرت في قصور معظم المقاطعات الاوربية ومراكزها في ذلك الوقت مثل إنكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا وبالقاريا وقد اخذت البعثات الاوربية تتدفق على الاندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى حتى بلغت 924/هـ 132م زهاء سبع مئة طالب وطالبة (12) .

وكانت احدى هذه البعثات من فرنسا برئاسة الاميرة اليزابيث ابنة خال لويس السادس ملك فرنسا وقدمت بعثات أخرى سافوي وبافاري والرايت وسوكو سونيا وغيرها...

عندئذ ارسل الملك فيليب ببعثة برئاسة الوزير الأول المدعو ويليام بين الذي اسماه العرب باسم ويليام الأمين وكانت هذه البعثة تتألف من مئتين وخمسة عشر طالب وطالبة , درسوا مختلف العلوم في الاندلس وقد اعتنق ثمانية افراد من هذه البعثة الدين الإسلامي ومكثوا في الاندلس ورفضوا العودة الى بلادهم ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الاندلس في ذلك الوقت وانجبن عدداً من العباقرة كان منهم عباس بن فرناس الفلكي(13) .

وهناك عدد اخر من الفتيات قدمن في بعثات الاندلس من فرنسا وهولندا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا واعتنقن الإسلام وتزوجن من المسلمين أمثال الاميرة ماري غويبة من بلجيكا وسمبسون من إنكلترا وشوتا ابنة الكونت من هولندا(14) .

المبحث الثاني: دور الجامعات والمعاهد الدينية في نشر الثقافة الإسلامية في أوروبا:

تأثرت هذه الجامعات بالفكر الإسلامي في الاندلس , فعلى الرغم من اختلاف المؤرخين حول وقت ونشوء نظام المدارس والجامعات الكبرى في الاندلس(15) , ولكن هناك اجماع تام على ان التعليم في الاندلس بلغ خطاً كبيراً في مجال التقدم الحضاري , وان الاندلسيين بذلوا جهداً كبيراً في اعداد الفرد وتشكيله وتنقيفه ابتداء من سن حياته الأولى الى اقصى ما يطمح اليه من تعلم في الوقت الذي كانت فيه أوروبا تعيش في ظلمات الأمية , والجهل حتى ان نسبة 95% من سكانها في القرون الميلادية التاسع والعاشر , والحادي , والثاني عشر , كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة ويدخل ضمن هؤلاء بعض الملوك والامراء والكهنة في الأديرة(16) .

وكانت قرطبة في ذلك العصر المركز الثقافي في الغرب , لمسجدها الجامع شهرة عريضة في جميع انحاء أوروبا في القرن العاشر الميلادي , ذلك انه كان بمثابة المدرسة , او الجامعة الوحيدة في أوروبا , وفضلا عن قرطبة , زفرت حواضر الاندلس الأخرى لا سيما اشبيلية , وملقة , وغرناطة , وطليلة , وسرقسطة بمساجدها ومدارسها التي كان اساتذتها يختارون على أسس معينة , ومؤهلات خاصة (17).

ولم تكن تضع بين مدرسيها الا كبار علماء العصر وكان الطلبة يسعون اليها عندما يرغبون في تحصيل درجة عالية من العلوم , وكانت أماكن العلم هذه تقوم بأنشطة متنوعة تشبه ما يقام من نشاط ثقافي , أو مواسم ثقافية في بعض الجامعات العصرية(18) , وان هذه المؤسسات الثقافية الاندلسية كان يوفد إليها الطلبة من أوروبا لتعلم على ايدي العلماء المسلمين عندما شعروا بتخلفهم عن العرب , والنهل من هذا النبع العلمي , فحملوا علومها الى بلادهم , وبالتالي ظهرت اثارها في مختلف جوانب الحياة كما انشأ في العام 652هـ-1254م معهد للدراسات

اللاتينية، والعربية في اشبيلية نال حماية البابا إسكندر الرابع، وموافقة براءة خاصة موقعة في العام 1260م (19).

وقد انتقل هذا التقليد الى الجامعات الأوروبية التي ابتذت بتخصيص كرسي للغات الأجنبية فيها في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن للهجرة (20).

ولعل من ابرز الناشطين في الدعوة للدراسات العربية هو رامول لول (ت1315م) من جزيرة ميورقة الذي استطاع ان يقنع الملك جيمس الأول ملك اراغون، بأنشاء كلية للدراسات العربية في بالما عاصمة ميورقة سنة 1276م كما طلب من مجلس فيينا ان ينشأ مدارس للغات والآداب الشرقية تعد الناس للتبشير بين المسلمين، واليهود، وكانت مناطق جنوب فرنسا اكثر تأثراً من بقية أوروبا الغربية واسرع في اكتساب الخبرة العربية في مجال التعليم، والمدارس وذلك بحكم مجاورته الشمال الاسباني لا سيما تواوز، ومونبيلية فقد تأسست في المدينة الأخيرة مدرسة في القرن الثاني عشر الميلادي ولكن لا يعرف شيء عن بدايتها الأولى، ويقول ان جماعة من العرب، واليهود اشتركت في تأسيسها لغرض تعليم الثقافة العربية، ونشرها (21)، واستمرت هذه المدرسة تؤدي دورها، بجهود الافراد، والأساتذة العرب حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي عندما رفعه البابا نيوغولة الرابع في العام 1289 الى مرتبة جامعية، وخصصها تقريباً للعلوم الطبية(22).

وقد أشار البروفيسور دالماس أستاذ الامراض النسائية بكلية الطب في أوائل القرن الحالي في هذه الجامعة في محاضرة القاها عن فضل العرب على جامعة مونبيلية الى جهود الأطباء من العرب في التدريس بهذه الجامعة وان أسماء بعضهم ما تزال منقوشة على لوحة الاستاذية بمدخل كلية الطب (23).

وذكر في محاضراته أيضاً أن بعض الرهبان الذين ترقوا الى درجة البابوية، كانوا قد طلبوا العلم بجامعة مونبيلية على يد أساتذة من العرب الذين يعود لهم الفضل في تعريف الغرب بالمدينة اليونانية، والكثير من العلوم، والمعارف لا سيما طب النبات، وقد أصبحت تعد احد المراكز الثقافية المهمة في الغرب اللاتيني وضمت جميع ترجمات قسطنطين الافريقي، وجيراود الكريموني، وغيرهما، وبدأت تظهر ثمارها في اشخاص علماء طبعوا عصرهم بطابع الثقافة العربية، مثل الفيلانوفي 1313م وهو من اشهر مستعربي القرون الوسطى(24).

لقد أدى الكم الهائل من المعارف، والمعلومات التي ترجمت عن العربية الى توفر التراث اليوناني، والعربي في تراجع اللاتينية جيدة أصبحت في متناول الأوروبيين في جنوب فرنسا، وأوروبا الغربية، واستعد هؤلاء نتيجة الصحة، والانتعاش الاقتصادي، والاستقرار الاجتماعي، والسياسي الذي رافق بدء عصر النهضة الأوروبية لدرس هذا التراث، وفهمه وشرحه وتدرسه، والاستفادة منه، وقد مهد هذا الامر الطريق لتأسيس الجامعات، وانماها في القرنين، والثاني عشر، والثالث عشر الميلادي/ السادس والسابع للهجرة (25).

ويشير المستشرق لويس لونغ الى ان مؤسسة الجامعة هي من المبتكرات الخالصة للحضارة العربية الإسلامية، وان الحقائق تدل على ان القرون الوسطى للإسلام هي التي مهدت لنشوء الجامعات في أوروبا (26).

تأسست في القرن الثاني عشر الميلادي جامعة ساليرنو، وبولونيا في إيطاليا، وجامعة موبيليه، وباريس في فرنسا، واكس فورد، وكمبردج في إنكلترا، وأصبحت الطريقة النظامية في التعليم العالي امراً ممكناً، وضرورياً (27).

وظهر عدد من أساتذة الجامعات، والعلماء الذين كان لهم اثر في الفكر العلمي الأوروبي، من أمثال روبرت سنة 1253م، والبرت ماجنوس 1280م، وروجرز بيكوم 1292م (28)، ولكن يبدو ان احداً منهم لم يبتكر أو

يصف شيئاً على العلوم التي نقلوها عن العرب قبل القرن الخامس عشر الميلادي، ويمثل كلام غوستاف في هذا الصدد هذه الحقيقة أروع تمثيل حيث يقول (29) .

((لم يظهر في أوروبا قبل القرن الخامس عشر الميلادي عالم لم يقتصر على استنساخ ما في كتب العرب ولم تظهر العبقريّة الأوروبية الخلاقة الى في أواخر القرن الخامس عشر والسادس عشر وتبدأ فعلاً في إضافة جديدة على ما خلفه العرب من تراث في الجامعات الذي انتشرت في جميع انحاء غرب أوروبا)) (30).

الأثر الإسلامي في الفلسفة:

شهد القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ازدهاراً للفلسفة الارسطية في الأندلس فقد ظهر في هذا القرن ثلاثة فلاسفة عظام تركوا اثراً في تاريخ الفكر الانساني، وهم: ابن باجة (533هـ/ 1138م)، وابن طفيل (ت581هـ/ 1185م)، وابن رشد (ت594هـ/ 1198م)، والآخر عده الاوربيون أكبر ممثل لحريّة الفكر في العصور الوسطى، وأعجبوا بشروحه لفلسفة ارسطو وفي ذلك يقول الفيلسوف الفرنسي رينان: ((ألقى ارسطو على كتاب الكون نظرة صائبة ففسره وشرح غامضه ثم جاء ابن رشد فألقى على فلسفة ارسطو نظرة خارقة وشرح غامضها)). وقد خالفت شروح ابن رشد آراء الكنيسة في كثير من اتجاهاتها؛ مما أثار نقمة رجال الدين في أوروبا على ارسطو وابن رشد، وصدرت عدة قرارات كنسية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بتحريم آراء الرجلين في الجامعات الناشئة، وممن تأثر بفلسفة ابن رشد تأثراً واضحاً القديس توما الاكويني 622هـ - 673هـ/ 1225 - 1274م (31).

وفي الأندلس كان ميلاد ابرز أعلام الفلسفة الصوفية عند المسلمين وهو ابن عربي، الذي ولد في مرسية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وانتهى الى القول بوحدة الأديان؛ مما جعل أرائه محببة الى فلاسفة الغرب.

الأثر الإسلامي في الطب:

اقتبس العرب عن الاغريق النظريات الطبية التي لا تشكل قاعدة ثابتة، ومرضية لعلاج المرضى، الا انهم ركزوا على الأمور العملية بدلاً من النظرية في العلاج الطبي، وقام العرب بكثير من الاستكشافات الطبية، وأحرزوا تقدماً في فن الاستطباب، ومن أشهر الجراحين: أبو القاسم القرطبي خلف بن العباس الزهراوي (ت404هـ/ 1013م) الذي جعله كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) من اكبر جراحي العرب واستاذ علم الجراحة في أوروبا، في العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية حتى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي (32).

واشتهر ابن البيطار (ت646هـ/ 1248م) بكتاب (المغني في الادوية المفردة) الذي صنّفه بناءً على الاختبارات التي اجراها على النباتات التي جمعها من اسبانيا وبلاد الشام، وهذا دليل على مزية المؤلف الشخصية في البحث؛ ولهذا اشتهر ابن البيطار وما يزال يعرف في أوروبا بلقب (أبو علم النبات) (33).

كانت لدى الاطباء العرب موهبة نظرية وعملية في تصنيف علوم الطب وتقديم نتائجها في كتب علمية واضحة للطلاب والاطباء معاً، وأشهر الكتب الطبية كتاب (القانون في الطب) لابن سينا (370 - 429هـ/ 980 - 1037م)، وقد درس في أوروبا بعد ترجمته الى اللاتينية، وأخذ العرب بنظام البيمارستانات (المستشفيات)، فعني البابوات، وملوك الغرب بإقامة المستشفيات على النظام العربي (34).

الأثر الإسلامي في الادب:

كان للأندلس الدور الأكبر في تعريف أوروبا بالقصص العربي، ونشره على أوسع نطاق، فالتراث القصصي القديم الإغريقي واللاتيني اندثر أثناء العصور الوسطى وكان أكثر ما عرف منه في أوروبا إنما كان عن طريق ترجماته العربية التي عبرت القارة الأوروبية خلال الأندلس، وممن يتمثل فيهم ما استفادة الفن القصصي الوليد في أوروبا من التراث العربي الإسلامي شخصيتين أولهما: الكاتب دانتي الليجيري (664 - 721هـ / 1265 - 1321م) الذي يعد من أكبر مفاخر عصر النهضة، وقد اضطلع المستشرق الأسباني ميغيل بلاثيوس بنشر دراسة (قصة الأسراء والمعراج الإسلامية وأثرها في الكوميديا الإلهية)، وخلاصتها أن دانتي استقى فكرة الكوميديا الإلهية من مصادر إسلامية (35).

أما الشخصية الثانية فهو جوماني بوكاتشو (713 - 777هـ / 1313 - 1375م) الذي يمثل في النثر الأدبي الإيطالي ما يمثل دانتي في الشعر، وقد ترك مجموعة (الليالي العشر) والذي يتأملها لا يسعه إلا ملاحظة التشابه الكبير بينه وبين مجموعات القصص العربية في الشكل العام والتفاصيل مثل قصة الوزراء السبعة في ألف ليلة وليلة وهي قصة ذاعت في الأندلس (36).

الأثر الإسلامي في الجغرافيا:

حافظ العرب والمسلمون في العصور الوسطى على إرث ما في التراث القديم، وأضافوا إليه خلال سبعة قرون من الازدهار الحضاري ما تجمع لديهم من المعرفة الجغرافية، عن طريق الرحلات الواسعة التي سجلوا مشاهداتهم فيها بدقة ووضوح، وعن طريق الأجهزة العلمية التي ابتكروها وحسنوا فيها، وعن طريق التفكير الحر الذي لم تقيدته أغلال كتلك التي فرضت على التفكير المسيحي طوال القرون الوسطى، واستمرت جهودهم في تطوير الفكر الجغرافي دون انقطاع حتى عصر النهضة والكشوف الجغرافية (37).

وقد عرف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أعظم عمل جغرافي عربي منظم في الجغرافية وهو كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، لأبي عبد الله محمد الإدريسي (ت562هـ / 1166م) الذي عمل في بلاط الملك المسيحي روجر الثاني ملك صقلية في بالرمو، ويضم الكتاب أعمال الجغرافيين السابقين، والمعلومات التي رواها الرحالة، ويشير إلى افتراض أن الأرض كروية (38).

وقد أكثر الإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق) من الخرائط التي زادت عن أربعين خريطة، وبلغ من إعجاب الأوروبيين به أنهم ترجموه إلى اللاتينية في وقت مبكر، كما كان من أوائل الكتب التي طبعت (39).

وعن المسلمين عرف الأوروبيون البوصلة واستخدامها، وما زالت البوصلة تحتفظ باسمها العربي في كثير من اللغات الأوروبية، فهي بالفرنسية: (Boussole) وبالإيطالية: (Bossala) (40).

المبحث الثالث: التأثير الإسلامي في ميادين الحياة الاقتصادية:

1- التأثير الإسلامي في الزراعة:

أن الأندلس بطبيعتها بلداً يمكن أن يحقق الاكتفاء الذاتي لسكانه (41)؛ بسبب تنوع موارده وتباين أقاليمه المناخية واختلاف مواسم سقوط المطر في شرق الأندلس عن غربها، لذلك تنوعت المحاصيل الزراعية واستمر ظهور الفاكهة على مدار العام، وكثرت محاصيله وفاكهته حتى صدرت إلى ممالك إسبانيا النصرانية وغيرها من

دول العالم الأخرى، وقد عمل حكام الأندلس أقصى ما في وسعهم لاستغلال ثروات البلاد، فاستصلحوا الأراضي وأقاموا المصانع وتبادلوا التجارة مع بلاد أوروبا ودول حوض البحر المتوسط الأخرى (42).

وقد ادخل العرب إلى الأندلس زراعة الارز والقطن وقصب السكر والتوت والنخيل، وأنواع الزهور التي انتشرت زراعتها في شمال اسبانيا النصرانية، بل في أوروبا كلها، وزرعوا الفستق والموز ودوحة الكاملياء الحمراء والبيضاء، وأزهاراً وبقولاً نقلت بعد إلى جميع البلاد الغربية (43).

2- التأثير الإسلامي في الصناعة:

اشتهرت الأندلس بصناعة المنسوجات الكتانية البديعة الغالية، التي لا يفرق بينها وبين الكاغد (الورق) الجيد الصقيل في الرقة والبياض، وتعد الأندلس من أهم البلاد التي ازدهرت فيها صناعة الحرير بأنواعه المختلفة، وكان حرير مدينة ألبيرة أجودها يصدر إلى داخل الأندلس وخارجها، واشتهرت اشبيلية بالحلل الموشية، وقد حظيت المنسوجات الأندلسية بشهرة واسعة في الأوساط الأوروبية الراقية، ونجد ذلك واضحاً في سير الملوك والبابوات، والقادة الذين حرصوا على اقتناء هذه الملابس الثمينة (44).

اشتهر الفولاذ الأندلسي بجودته في أنحاء العالم، ومن أهم مراكز صناعته طليطلة وغرناطة، واشبيلية حيث كانت تصنع السيوف والدروع، والآلات الحربية، (45)، وقد توصل مسلمو الأندلس إلى اكتشاف خاصية النفط كونها مادة مهمة متفجرة، إذا خلطت بملح البارود وحصى الحديد في درجة عالية، وأدى هذا الاكتشاف إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية التي أخذها الأوروبيون عن العرب (46).

الخاتمة:

من خلال ما قدمته هذه الدراسة يتضح أن الأندلس الإسلامية كانت نقطة تحول مهمة في تاريخ الفكر الغربي، حيث ساهمت بشكل كبير في تطوير العلوم والفلسفة والأدب والفنون، حيث تعد دراسة هذه الفترة التاريخية في تعزيز فهمنا للتاريخ الثقافي وتفاعل الحضارات، مما يساهم في تعزيز التسامح والتفاهم بين الثقافات المختلفة اليوم.

إن الأثر الثقافي الإسلامي للأندلس على الفكر الغربي هو موضوع غني ومعقد يعكس تفاعلات حضارية عميقة. فقد ساهمت الأندلس في تشكيل العديد من جوانب الحضارة الغربية الحديثة، ولا يزال هذا الإرث الثقافي حاضراً في العديد من مجالات الحياة اليوم. إن فهم هذا التاريخ يساعدنا على تقدير قيمة التفاعل بين الثقافات وأهمية الحوار والتفاهم بين الشعوب.

بالمجمل، يمكن القول إن الأندلس كانت حلقة وصل حيوية بين الثقافات الإسلامية والأوروبية، وأسهمت بشكل كبير في تشكيل الفكر والثقافة الأوروبية عبر العصور.

إن هذا البحث يمكن أن يكون نقطة انطلاق لدراسات أعمق حول تأثير الحضارات المختلفة على بعضها البعض وكيف يمكن أن تسهم هذه التفاعلات في بناء مستقبل مشترك أكثر إشراقاً.

الهوامش:

(1) ابن قتيبة، محمد بن مسلم (ت 276هـ/889م) الإمامة والسياسة، تحقيق الأستاذ علي شيري (د.م) (بلا، ت)

(2) عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ولد سنة 113هـ/731م، في بلاد الشام، مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص 54-56.

- (3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ط2، تح إبراهيم الإبطاري، ط2، مج2، دار الكتاب الكلباني، بيروت، 1989، ص ص21-25.
- (4) القلماوي ومكي، في الادب، ص34-35.
- (5) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب و الأندلس، ج2، مكتبة صادر، مطبعة المناهل، بيروت، 1950، ص62/2-63.
- (6) الصياد، محمد محمود في الجغرافيا، ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الاوربية لمجموعة مؤلفين، ط القاهرة، 1390هـ/1970م، ص56.
- (7) عبد الواحد ذنون طه: دراسات في تاريخ وحضارات الاندلس، دار الكتب الوطنية / بنغازي - ليبيا، 2004، ص180.
- (8) مونتكمري واط، تأثير الإسلام على اوربا في العصور الوسطى، ترجمة، عادل نجم عبد، الموصل، مديرية دار الكتب، 1982، ص45.
- (9) ينظر: جلال مظهر اثر العرب في الحضارة الأوروبية بيروت، دار الرائد 1967، ص157، ويقارن خليل إبراهيم السامرائي ورفاقه تاريخ العرب ومظاهراتهم في الاندلس، الموصل، مديرية دار الكتابة والطباعة والنشر، 1986، ص474.
- (10) نقلاً عن مظهر: اثر العرب في الحضارة الاوربية، ص136-186.
- (12) عبد الواحد ذنون طه: مصدر سابق، ص180.
- (13) سليم طه التكريتي، أوروبا ترسل بعثاتها الى الاندلس لتلقي العلوم في جامعاتها. مجلة الوعي الإسلامي، العدد 37، السنة الرابعة، 1968، ص90-93، وقد اعتمدت بدوره على المراجع الأجنبية
- (14) ورد اسم والد عباس في مقال التكريتي سهواً على انه مرداس
- (15) التكريتي، المرجع السابق، ص92
- (16) ينظر: محمد عبد الرحيم غنيمه تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان، 1953، ص114-115.
- (17) إبراهيم علي العكش، التربية والتعليم في الاندلس، عمان دار الفحاء ودار عمار، 1986، ص71.
- (18) سعيد عبد الفتاح عاشور، المدينة الإسلامية واثرها على أوروبا، القاهرة، 1963، ص176
- (19) عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة الإسلامية في الاندلس، بيروت، دار الارشاد، 1969، ص49.
- (20) بروف نال، حضارة العرب في الاندلس، ص96، بالنتيا، بتاريخ الفكر الاندلسي، ص574، مايرز، الفكر العربي، ص120، مظهر اثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص191.
- (21) ينظر: إبراهيم بيومي مدكور في الفلسفة، فصل نشر ضمن كتاب اثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970، ص166.
- (22) النمر شاف.، عطاءات علماء السلام، ص226

- (23) عيسى تاريخ التعليم في الأندلس، ص 358-378
- (24) عبد الواحد ذنون طه: مصدر سابق، ص 190.
- (25) عبد الواحد ذنون طه: مصدر سابق، ص 191.
- (26) ديورانت، قصة الحضارة: 12/17 مايرز، الفكر العربي، ص 111
- (27) العرب وأوروبا، ص 130-131.
- (28) مايرز، الفكر العربي، ص 111.
- (28) مذكور في الفلسفة أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، ص 207.
- (29) حضارة العرب، ص 678،
- (30) مظهر، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، ص 191، ويقارن مذكور في الفلسفة، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية، ص 207-208
- (31) عبد الواحد ذنون طه: مصدر سابق، ص 192.
- (32) ينظر عن إبداعات بعض أطباء مدرسة الأندلس في مجال الجراحة والادوية: سيديو، خلاصة تاريخ العرب، ص 239.
- (33) كامل، في الطب والاقربازين، ص 54-55، الخطيب، تاريخ الحضارة، ص 226.
- (34) الخطيب، تاريخ الحضارة، ص 235. كامل، في الطب والاقربازين، ص 54-55.
- (35) القلماوي ومكي، في الأدب، ص 114، وينظر رأي بدوي في أن دانتي قد استمد مادة غزيرة لكتابه (الكوميديا الإلهية) من التصورات الأخروية الإسلامية ولا سيما ماورد منها عند ابن عربي، بينما يرى الفلاحي أن دانتي أخذ فكرة الكوميديا الإلهية من (رسالة الغفران) للشاعر العربي أبي العلاء المعري الذي سبق دانتي بحوالي 271 عاماً، بدوي، دور العرب، ص 49-50، الفلاحي، مآثر العرب، ص 176-177.
- (36) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص 458.
- (37) الصياد، في الجغرافية، ص 327.
- (38) يونغ، العرب وأوروبا، ص 102-103.
- (39) الخطيب، تاريخ الحضارة، ص 180.
- (40) الخطيب، تاريخ الحضارة، ص 181.
- (41) ابن الخطيب، أعمال الإعلام، 5/2، المقري، نفح الطيب، 66-65/1.
- (42) عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص 466.
- (43) يونغ، العرب وأوروبا، ص 64، سليمان، تاريخ الحضارة، ص 30.

⁴⁴كان يوجد في المرية 800 نول لصناعة الملابس الحريرية، و(1.000) نول لصناعة الحلل النفيسة والديباج الفاخر، وألف نول للاسقاطون، وألف نول للثياب الجرجانية، ومثلها للثياب الاصفهانية والعنابي والستور المكلفة وقامت صناعة النسيج في قرطبة حيث كان بها ثلاثة عشر ألف حائك، لمزيد ينظر: الادريسي، صفة المغرب، ص192-193، ص197، المقري، نفح الطيب، 74، 78/1، المطوي، الحروب الصليبية، ص174.

⁴⁵العبادي، الحياة الاقتصادية، ص334-337.